مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

إسرائيل ويهود الشتات: اشكاليات العلاقة وتطورها

1 – مدخل:

يعتبر مصطلحا "الشتات" و"الشعب اليهودي" من الأمور المعقدة، التي لا يتوفر الاتفاق أو الإجماع على معانيهما ومضامينهما. فالشتات في الأصل يعني التجزئة والتفكك. وفي حال اليهود يعني الفئات البعيدة عن فلسطين والتي تقطن أماكن وبلاداً سواها. هذا في مفهوم اليهودالصهيونيين، لكن بالنسبة إلى اليهود غير الصهيونيين أو اليهود المعادين للصهيونية، فإن اصطلاح "الشتات" لا يعني لهم شيئاً لأنهم يعتبرون يهود العالم مواطنين في البلاد التي يقيمون فيها، واندماجهم في مجتمعاتهم يتعارض مع مفهوم التفكك والشتات. أما اصطلاح "الشعب اليهودي" فيشكل أمراً معقداً ايضاً لأنه مشتق من الدين. وفي الواقع، ومهما يكن الأمر، فقد أصبح من المتعارف عليه أن هناك شعباً يهودياً. كما أن إثنية الإنسان اليهودي ليست قائمة على هوية عائلته القومية، وإنما على كونه يهودياً بغض النظر عن ممارسته للطقوس الدينية الواجبة . ومن ضمن هذا التعريف تتفرع هويات أُخرى مثل السفاراديم (الشرقيون) والأشكنازيم (الغربيون) والفلاشا (يهود الحبشة) وغيرهم.

2 – الحركة الصهيونية ويهود الغرب:

يتحدر اليهود الأميركيون من أصل أوروبي، لكن يهوديتهم وعلى الرغم من أنها اكتسبت الكثير من الثقافة اليديشية (الالمانية)، فإنها تتميز بميزات خاصة تبلورت من خلال التطورات في المجتمع الأميركي نفسه. وبعكس الكثيرين من اليهود الأوروبيين الذين لم ينخرطوا في المجتمعات الأوروبية، فإن يهود أميركا استوعبوا الثقافة الأميركية تماما وانخرطوا فيها وذابوا في المجتمع الأميركي. وبذلك تمكنوا من استخدام المؤسسات الأميركية للوصول إلى مراكز ومواقع استراتيجية في السلطة. كما أنهم ساهموا، من ناحية أخرى ، في بناء المجتمع الأميركي، وقدموا خدمات اجتماعية كثيرة للرعايا اليهود وسواهم. وبالتالي نجد أن الكثيرين من ذوي المواهب العالية في اميركا هم من أصل يهودي . ولهذا السبب كانت ردة الفعل في أوساط الجالية اليهودية في أميركا سلبية للغاية حينما توجهت الحركة الصهيونية إلى مشروع بناء ما سمي الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وعلى الرغم من أن الصدام بين الصهيونية السياسية والصهيونية

الروحية قد حدث في أميركا كما كان حدث في أوروبا ايضاً، فإن اليهودالأميركيين لم يشعروا بأنهم كانوا يجابهون "مشكلة دينية يهودية" كما شعر بها اليهودالأوروبيون، الأمر الذي جعل الفريق الأخير يدعم الصهيونية السياسية كصمام أمان ليهودالشتات.

من أجل ذلك شكلت الحركة الصهيونية السياسية الحل المنشود لما يسمى "المشكلة اليهودية" في أوروبا. أمّا يهودأميركا فإنهم لم يشعروا بالتعاطف نفسه مع الصهيونية السياسية، بل إنهم دانوها كحركة تعزل اليهود عن المجتمعات التي يعيشون فيها، وبذلك تصبح مصدر خطر عليهم لا صمام أمان. وعلى سبيل المثال، صدر بيان وقعته ثلاثون شخصية يهودية مرموقة في الولايات المتحدة سنة 1918 جاء فيه ما يلي : في الوقت الذي تُطرح فيه مسألة نظام الحكم المستقبلي في فلسطين أمام مؤتمر السلام المقبل، نحن الموقعين أدناه، من المواطنين الأميركيين، نعلن بصوت موحد معارضتنا لمشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وفقاً لاقتراحات المنظمات الصهيونية هنا وفي أوروبا. كما أننا نعترض على عزل اليهود عن مجتمعاتهم وتمييزهم ككيانات قومية مميزة في البلادالتي يعيشون فيها . ونشعر بأننا نعبر عن آراء أفراد الأغلبية في الجالية اليهودية في أميركا، سواء من ولد منهم هنا أو في بلاد أُخرى، لكنهم عاشوا هنا فترة طويلة وانخرطوا تماماً في المجتمع الأميركي سياسياً واجتماعياً. ويمثل اليهود الصهيونيون في أميركا، بحسب الإحصاءات المتوفرة نسبة ضئيلة من اليهود المقيمين بهذا البلد. واعتبر ممثلو الإصلاح اليهودي أن اليهود لا يشكلون قومية وإنما فئة دينية فقط. وجدير بالذكر أن مؤتمر بازل الشهير الذي عقد سنة 1897 كان من المفروض عقده في مدينة ميونيخ، إلاّ إنه تحول إلى بازل في إثر معارضة قوية من الجالية اليهودية في ألمانيا، وخاصة من الهيئة التنفيذية للحاخامين الألمان . وخلال المؤتمر المركزي الثامن للحاخامين الأميركيين، الذي عقد في مدينة مونتريال في كند سنة 1897 ،خطب الحاخام يتسحاق وايز (Wise Isaac) قائلاً إن "مكيدة" بازل لم تكن سوى "وهم طائش"، إذ كان التفكير السائد حينذاك أن مشروع الدولة يتناقض مع رسالة اليهودالدينية ذات النطاق العالمي. وقال الحاخام كوفمان كوهلر (Kohler Kaufman)عن هذا الموضوع، سنة 1931 : إن موقع الإنسان اليهودي هو العالم وبين الأمم. كما أن مهماته ومجالاته عالمية لا تقتصر على بقعة صغيرة يعتبرها ملكه..... إن الغرض والهدف هو بيت البشرية المثالي، بيت روحي للجنس البشري لا تبنيه الأيادي البشرية.

هذه الأقوال والكتابات كانت تعبّر عن الآراء السائدة في أوساط الجالية اليهودية في أميركا في الربع الأخير من القرن الماضي والثلث الأول من القرن الحالي، لكن دلائل التوجه نحو المشروع الصهيوني بدأت تظهر في أوساط الجالية اليهودية في أميركا بعد وعد بلفور، وبدأت تتركز عقب المحرقة النازية في الثلاثينيات.

ولم يقتصر العداء للصهيونية السياسية حينذاك على طائفة الإصلاح اليهودي فقط، بل كان يشمل أيضاً الطائفة الأورثوذكسية والكثيرين من قادة الفكر والفلاسفة. وفي كتاب حرره غاري سميث (Smith Gary) بعنوان "الصهيونية: الحلم والحقيقة"، تعرض لفكرة الصهيونية وقال في نقد المشروع الصهيوني ما يلي:

1 – انحلال الفكرة الصهيونية الروحية وانحرافها عن الخلقية اليهودية تجاه تأليه الأشخاص.

2– الأثر السلبي للدولة العصرية العلمانية في الديانة اليهودية والثقافة اليهودية.

3 – التناقض الكامل بين الفكرة الليبرالية الأميركية التي تقوم على حقوق الفرد وفصل الدين عن الدولة واختلاط القوميات، وبين فكرة الصهيونية القائمة على حقوق الجماعة والعرق. فالدولة اليهودية في فلسطين، بعكس الدولة الأميركية، لن تسمح بالزواج المختلط، ولا بهجرة غير اليهود اليها، لأن في ذلك خسارة لمبررها في الوجود . اضاف ان الدولة اليهودية التي تقوم على تنبؤات هرتسل لن تكون يهودية، وإنما إسرائيلية تكوّن جاليتها القومية وتبتعد عن وعي الشعب اليهودي. والشعب اليهودي لا يكوّن أمة بمعناها المألوف، "فالبقاء القومي" بالنسبة إلى الفئة اليهودية الأورثوذكسية يعني بقاء الخصوصية اليهودية المهددة بالفناء في الشتات لا بقاء الأمة اليهودية. وكثير من الطقوس الدينية يعبّر عن الانتماء إلى جماعة أو جالية لا إلى أمة أودولة (Nation) . ولم تكن هجرة اليهودإلى فلسطين نتيجة شعور بالانتماء إلى أمة، وإنما كان يدفعها الخوف من العداء للسامية في أوروبا .

3 – نقاط تحول على طريق يهود الشتات:

الجدير بالذكر أن العداء للصهيونية السياسية بدأ يتقلص في أوساط الجالية اليهودية في أميركا بعد المحرقة النازية. ويمكن القول إنه في منتصف الأربعينيات كان هناك فريقان في تلك الجالية: الفريق الأول كان يؤيد قيام دولة يهودية مستقلة في فلسطين كحل إنساني ولازم لمعالجة المشكلة اليهودية. أمّا الفريق الثاني فكان يعتبر أن العمل السياسي الموحّد نحو تكوين الدولة هو أمر يتعارض مع الاصول الدينية اليهودية. ومع أن هذا الفريق كان يؤيد مبدأ الأخوة بين اليهود، فإنه اعتبر أن تلك الأخوة يجب ألا تقودهم إلى قومية. وبالنسبة لهذا الفريق، كان من المقبول أن تكون فلسطين ملجأً ومركزاً للثقافة اليهودية فقط، لكن من دون أي اعتبارات سياسية، غير ضرورية، بل ربما تشكل خطراً على اليهود . وبعد أن تبنت الأحزاب الأميركية المشروع الصهيوني لفلسطين سنة 1942 وفق برنامج بلتيمور، بدأ الفريق الثاني يعبّر علناً عن معارضته، لأن ذلك يعني أن اليهود يصوتون ككتلة اندماجية واحدة، الامر الذي يتناقض مع شعورهم بأن النهج اليهودي الأميركي مشبع بروح أميركية حرة. وكانوا يعتقدون كل الاعتقاد بأن الدولة اليهودية في

فلسطين ستكون غيرقادرة على التغلب على العداء للسامية، بل ربما تزيد الطين بلة حينما تبني الحواجز بين اليهود والمواطنين الآخرين، وبالتالي تعزز ذلك العداء .

إلا أن إعلان الدولة اليهودية سنة 1948 أدى إلى قفزة نوعية لدى الفريق الثاني من الجالية اليهودية في أميركا، الذي بدأ يضم أصواته إلى الجناح الصهيوني المؤيد للدولة كملجأ نهائي، وكصمام أمان لجوالي الشتات كافة. وبعد إعلان الدولة بدأت الجالية اليهودية في أميركا تكتسب الهوية التي قدمتها إسرائيل من خلال الحركة الصهيونية. ولا شك في أن جرائم النازية كانت في أساس ذلك التحوّل، إذ سمحت للصهيونية العالمية بالادعاء أن أمن جوالي الشتات اليهودي مرتبط بوجود ما يسمى "دولة إسرائيل" وبقائها وأمنها. ولم تعد مسألة تشريد الشعب الفلسطيني، الناجم عن قيام تلك الدولة، حدثاً في الأهمية نفسها. كما أن الدعاية الصهيونية التي تبلورت بدعم من الصهيونيين الأميركيين كان لها أثر كبير في التركيز على معاناة اليهود اولاً واخيرا وعلى ضرورة إقامة الدولة العبرية كحل منطقي لما يسمى "للمشكلة اليهودية".

بذلك حققت الصهيونية إنجازاً مهماً إذ إنها قدمت علاجاً ل "مشكلة يهودية" لم تكن موجودة، أساساً، في الولايات المتحدة . واستخدمت الصهيونية العالمية شعار "إخضاع الجوالي" لفرض هوية موحّدة على شتى الجوالي اليهودية في العالم ترتبط بدولة إسرائيل. وقد تُرجم هذا الشعار بالشكل العملي إلى ضرورة السيطرة على قنوات التنشئة والتعليم في المؤسسات اليهودية من أجل تهيئة الشباب وتجنيدهم في سبيل الهجرة إلى فلسطين. وجدير بالذكر أن الجالية اليهودية في أميركا كانت المرشح الأول في نظام تلك الاستراتيجية. وعلى الرغم من نجاح هذه الاستراتيجية، على وجه العموم، فإن هذه الجالية اتخذت موقفاً يتناقض تماماً مع سياسة الهجرة. وقد اعترضت بشدة على العقيدة الصهيونية التي تبنت مقولة أن اليهودالأميركيين يعيشون "في المنفى"، ولذلك فإنهم في طريقهم إلى الفناء إذا لم يهاجروا إلى فلسطين المحتلة. وكلما كان دافيد بن – غوريون يحث يهود أميركا على الهجرة وينكر عليهم الحق في أن يدعوا أنهم صهيونيون إلا إذا قرروا الهجرة، فانهم أكدوا صهيونيتهم عن طريق التبرعات المالية. فكانت "الصدَقَة" هي وسيلة الجالية لاكتساب الهوية الصهيونية، على الرغم من تناقض ذلك مع المبدأ الصهيوني الكلاسيكي الذي تلوح به إسرائيل وهو ضرورة الهجرة. وقد تمكنت الجالية الاميركية من فرض رؤيتها الخاصة على إسرائيل والصهيونية العالمية، لكن ثمن الصفقة كان عالياً، إذبلغت تبرعات الجالية أرقاماً أصبحت تسمح لها بالادعاء أن تلك الصدقات تؤمن بقاء الصهيونية وبقاء إسرائيل. ولذلك بدأ قادة إسرائيل، منذ الخمسينيات، يلطفون نغمة الهجرة وضرورتها بالنسبة إلى الجالية اليهودية في أميركا، وأصبحت مناشداتهم لها وحثها على الهجرة نادرة فعلاً ابتداء من أواخر الخمسينيات. لكن ذلك لم يمنع المؤسسات

الصهيونية النشيطة في حقل التعليم والشؤون الاجتماعية في أميركا من تكرار الشعار التقليدي القائل إن اليهود لا يشعرون بالأمن الحقيقي إلاّ في إسرائيل.

إلا أن مفهوم "الصدَقَة" أصبح أهم شعار للمؤسسات الصهيونية في أميركا، سواء في مهمات "النداء اليهودي الموحّد" ((UJA (Appeal Jewish United)،أو في نشاطات الجمعيات النسائية – "هداسا" (Hadassah). وجدير بالذكر أن سخاء اليهود في أميركا لم يكن يعبّر، بالضرورة، عن درجة الانتماء السياسي للمتبرعين، على الرغم من التحالفات القائمة بين أحزاب سياسية إسرائيلية وجمعيات "الصدَقَة " اليهودية في أميركا. إلا إن ذلك لم يعن أن الجمعيات اليهودية – الأميركية كانت تعتنق العقائد السياسية لتلك الأحزاب الإسرائيلية. فالمتبرع اليهودي الاعتيادي كان بعطائه يعتقد أنه يؤدي واجباً اخلاقيا عاماً تجاه "الشعب اليهودي" من جهة؛ ومن جهة أُخرى كان يعتقد أن سخاءه هو السبيل للحصول على مرتبة اجتماعية عالية في صفوف جاليته اليهودية. وبتدفق الأموال الأميركية من الجالية اليهودية على إسرائيل بعد تأسيسها، كان قليل من المتبرعين يعرفون تمام المعرفة تاريخ وطموحات الحركة الصهيونية، التي كانت تشبعهم بدعايتها أن القومية اليهودية هي الرد الطبيعي على عداء العرب المزعوم للسامية. وبدأ الإنسان اليهودي العادي في أميركا يشعر، في أحشائه، بأن عداء العرب للسامية انما يكمل ويتمم جرائم النازية. ولذلك فإن ارتباط الجالية اليهودية في أميركا بإسرائيل كان ارتباطاً عاطفياً قائماً على الدعاية الصهيونية والنتائج الاجتماعية للتبرعات. فالصدَقَة أصبحت المعبّر الرئيس عن يهودية اليهود الأميركيين، وقائمة الشرف في جاليتهم كانت تُعرّف بكبار المتبرعين . ولم يقتصر دور الصدَقَة على تحديد رتب المتبرعين في صفوف الجالية اليهودية فحسب، بل أصبحت بنيتها التحتية أيضاً، المكونة من الكثير من الجمعيات، بمثابة الجسر الذي اقتحمت من خلاله الجالية المجتمع الأميركي باسره. فالمجتمع الأميركي يقوم على قيم مادية تُعتبر عنصراً رئيساً في تحديد المنزلة الاجتماعية لأعضائه. وفي هذا المضمار كتب البروفسور جاكوب بيتوتشاوسكي (Petuchowsky Jakob) ،الذي كان متخصصاً باللاهوت، ما يلي : يحتاج اليهود إلى جهاز أموال الخدمات الاجتماعية بأكمله، النداء اليهودي الموحد وسندات إسرائيل (Bonds israel ...إلخ) لإقرار مكانتهم في االمجتمع. ويمكن القول إنه حتى لو لم تكن حاجات إسرائيل قائمة فعلاً، فإن مبرراً ما لاختراع مثل ذلك الجهاز لا بد من أن يكون قد وُجد فعلاً. وفي تلك الأحوال فإن الصهيونية، مرتدية ثياب الصدَقَة، نفعت اليهودالأميركيين تماماً. كما أنه ليس ممكناً أن يتخيّل المرء وصفاً يكون فيه مثل تلك النشاطات غائباً.

إن تلك العلاقة بين الجالية اليهودية في أميركا وإسرائيل قد أبرزت تماماً خطأ الدعاية الصهيونية القائمة على مقولة أن إسرائيل تشكّل الحماية لجوالي الشتات. فالعكس صحيح، إذ تبيّن بعد تكوين الدولة أنها هي التي كانت بحاجة إلى الحماية والدعم المادي من جوالي الشتات، وخصوصاً من الجالية اليهودية في أميركا. إلا ان يهود أميركا، مثلهم مثل معظم الأميركيين، هم أساساً براغماتيون يتخذون من النتائج العملية مقياساً لتحديد قيمة الأفكار الفلسفية وصدقيتها. ولذلك فإنهم لم يعيروا اهتماماً ك بيواً للنواحي الأيديولوجية، أو لمضاعفات السلوك الصهيوني على مستقبل اليهود بصورة عامة. وارتباطهم بإسرائيل كان، منذ البداية، ارتباطاً عاطفياً مكّن إسرائيل من أن تأخذ زمام المبادرة في تحديد العلاقة بينها وبين الجالية اليهودية في أميركا، وفي تحديد هويتها. ولم يكن هناك جدوى للاقتراحات التي قدمها الكثيرون من مفكري اليهود غير الملتزمين بالصهيونية أوالمعادين لها، إذ كانت تحاول الفصل بين الجمعيات الخيرية اليهودية – الأميركية والجمعيات الصهيونية. فكانت تنادي بأن مهمات الجهة الأولى تتطلب العمل بصورة مستقلة وبعيداً عن السياسة. إلا ان هيمنة الجمعيات الصهيونية، التي عملت مع إسرائيل يداً بيد، كانت قوية ومن الصعب التغلب عليها . ولا شك في أن تحالف الجمعيات الأميركية مع حكومة إسرائيل، بل اندماجها في مشاريع الدولة العبرية كان إنجازاً مهماً وعاملاً أساسياً في الدور الذي بدأت تقوم به الجمعيات في مجال السياسة الخارجية الأميركية. ويجب الإشارة هنا إلى حدث سبق تكوين الدولة كان له أثر كبير في دور مجموعات الضغط اليهودية في تكوين قرارات السياسة الخارجية الأميركية، وهو مؤتمر بلتمور الذي عقد سنة 1942 . إذ كان ذلك المؤتمر منعطفاً جديداً وحيوياً بالنسبة إلى الحركة الصهيونية العالمية، ومن بعدها إسرائيل، فهو أشار إلى نقل مركز الثقل اليهودي من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، وأصبحت إسرائيل تعتبر الولايات المتحدة مركزاً استراتيجياً لها وللحركة الصهيونية العالمية. ولم يكن هناك فوارق واضحة بين العمل السياسي والعمل الإنساني للمنظمات اليهودية في أميركا، إذ إن حشد الطاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية، للتأثير في صنع القرارات ونتائج الانتخابات، كان يجري ضمن الدعاية الصهيونية التي كانت تصوّر إسرائيل الملجأ النهائي والوحيد لليهود. ومن هنا كان الخلط بين مشاريع العمل السياسي والعمل الإنساني، إذ أصبحا يشكلان مهمة إنسانية واحدة،وهي الحفاظ على أمن اليهود الذي أصبحت إسرائيل منوطة به.

هكذا أصبحت إسرائيل هي الغاية، والغاية تبرر الوسيلة، ولذلك لم تعد الجرائم التي اقترفتها إسرائيل في حق العرب عموما والفلسطينيين خصوصاً، ذات أهمية كبيرة إلا في أوساط الجمعيات المعادية للصهيونية والخلط بين العمل السياسي والإنساني هو الذي جعل مجلس الشيوخ الأميركي يجري تحقيقاً في نشاطات

الجمعيات اليهودية بواسطة لجنة العلاقات الخارجية برئاسة ج. وليام فولبرايت (Fulbright) سنة 1963 . وتبين من خلال التحريات أن كثيراً من أموال الصدَقَة المعفاة من الضرائب كان ينفق في مجالات سياسية وتنظيمية. إلا إن ذلك لم يكف لاتخاذ الإجراءات القانونية في تلك المجالات، وتمكنت المنظمات اليهودية من الجباية من أفراد الجالية سواء أكانوا متدينين أم علمانيين، صهيونيين أم يهودا عاديين. وذكر ألفرد ليلنثال (Lilienthal Alfred) في كتابه "الرابطة الصهيونية" (Connection Zionist The) ما يلي : ربما يكون الكنيس فارغاً تماماً مساء الجمعة أو صباح السبت، إلا إنه يكون ملآناً بالجمهور الذي يستمع في ليالي الأعياد إلى النداءات الصادرة عن منبر الوعظ لشراء سندات إسرائيل، ولتجديد ولائهم لإسرائيل. وأولئك الذين لا يذهبون إلى الكنيس أبداً فإنهم يعوضون عن ذلك ويحاولون إرضاء ضمائرهم عن طريق التبرع ل "النداء اليهودي الموحد"، أو شراء السندات، وبذلك يقنعون أنفسهم بأنهم مازالوا يلعبون "مع الفريق". ويقول ليلنثال، أيضاً، إن كثيرين من اليهود الذين يتزوجون خارج الجالية يعوضون عن عدم امتثالهم لرغبات أمهاتهم (بأن يتزوجوا "فتاة يهودية حسنة")، ويحاولون إرضاء ضمائرهم بتأدية واجبهم تجاه إسرائيل، بغض النظر عن انتماءاتهم الفكرية والعقائدية. إن ذلك هو مافرضته إسرائيل بالاشتراك مع المنظمات الصهيونية الأميركية على الجالية اليهودية في الولايات المتحدة – هوية ربما لم تكن قد اختارتها طوعاً، لكنها بدأت تكتشف فيها المنفعة في مجتمع تسيطر فيه القيم المادية. ولعل الشكوى التي أشار إليها موشيه منوحين (Menuhin Moshe) ،مؤلف كتاب "انحطاط اليهودية في عصرنا" (Time Our in Judaism of Decadence The) ، تعبّر عن الأزمة التي أوجدتها الصهيونية ودولة الكيان لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً، ويعتنقون الديانة اليهودية من دون الولاء لإسرائيل :" إنني مواطن أميركي مندمج. وأنا يهودي الديانة ليس إلا". ووصف ألفرد ليلنثال المعضلة أيضاً بما يلي : أنا لا أسمح لإسرائيل بأن تجعل مني ومن آخرين يعتبرون أنفسهم أميركيين ينتمون إلى الديانة اليهودية مواطنين من الدرجة الثانية في بلدنا. إذ إن علاقتي بدولة إسرائيل اليوم تختلف عن علاقة الأميركي المسيحي – جون جونز جاري. فإذا رغبت في أن أعرف نفسي بالتعريف الديني فسأضطر، سواء رضيت أو لم أرض، إلى تقديم مساعدة وإعطاء وإقراض دولة إسرائيل بالشكل الذي لم يُلزم الأميركيين من غير اليهود القيام به على الرغم من إرادتهم.

وكتب ليلنثال ما يلي : أنا لست أميركياً – يهودياً، ولست يهودياً – أميركياً. أنا أميركي أعتنق الديانة اليهودية، وعلم إسرائيل ليس علمي ولم يكن سابقاً ولن يكون في المستقبل".

4 – التطور الدراماتيكي عام 1967 :

لقد كانت نسبة كبيرة من أوساط الجالية اليهودية في أميركا تعبر عن نفسها بالقول (أنا أميركي أعتنق الديانة اليهودية) ، إلا إن ذلك التعريف كان قد بدأ يتلاشى ابتداء من الثلاثينيات، ثم حُسم الوضع سنة 1948 وتعزز بشكل حاسم لمصلحة إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية سنة 1967 في إثر حرب حزيران الخاطفة التي شكلت نقطة تحول دراماتيكي في تاريخ علاقات الجالية اليهودية الاميركية بإسرائيل، إذ تضاعفت تبرعات الجالية وباعت النساء جواهرهن للمساهمة في "الدفاع" عن إسرائيل، على الرغم من أن بقاء إسرائيل ووجودها لم يكونا مهددين قط، بحسب تقويمات جنرالاتها. وسواء اعتنق أفراد الجالية مبادئ الصهيونية أم لا، فقد ربطت الجالية، بصورة عامة، مصيرها بمصير إسرائيل في إثر الحرب وبعدها. ولم تعد الجالية اليهودية تكترث للتعريفات وأصبحت إسرائيل الملجأ والخلاص الروحي الاساسي والاخير. ولم تعد ثمة إمكانية لتوجيه التهم إليها بعدم الولاء الكامل للولايات المتحدة، إذأصبح ارتباطها بإسرائيل واضحاً على الصعد كافة: السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية. فبالنسبة إلى المتدينين اليهود، أصبحت إسرائيل الوطن الروحي، وبالنسبة إلى العلمانيين غير المتدينين منهم أصبحت بمثابة بؤرة الهوية اليهودية وضمانة البقاء اليهودي. وأصبحت إسرائيل بالنسبة إلى الجالية، بصورة عامة، البؤرة الحيوية في حياتها ومحور اهتمامها. وبصورة مطردة، فإن الهوية التي اكتسبها اليهود من خلال ديانتهم، ومن خلال العيش طويلاً في عزلة عن الآخرين، بدأت تتغيّر إلى هوية علمانية ترتكز على دعامتين رئيستين يرتبط بعضهما ببعض وهما: التنظيم الاجتماعي والولاء لإسرائيل . فقد شهدت فترة ما بعد حرب سنة 1967 تغييرات أساسية في نسيج الجالية الاجتماعي، وفي نظرتها إلى الذات وإلى إسرائيل. لعل إحدى أهم الظواهر التي تعتبر نتيجة مباشرة للحرب ظاهرة افتخار اليهود بيهوديتهم في إثر الهزيمة الساحقة والمذلة التي حلت بالعرب، فلم يعد الكثيرون يواصلون إخفاء هويتهم عن طريق الاندماج الكامل في المجتمع الأميركي. ومن ثم فإنهم باتوا يبدون فخورين بالإنجاز الإسرائيلي، وخاصة بعد أن أصبحت المؤسسة السياسية الأميركية تعتبر إسرائيل ذخراً استراتيجياً لحماية مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط.

إن مبدأ نيكسون – كيسنجر كان يقوم على هذا الاعتبار ولم تعد إسرائيل تلك الدولة الصغيرة التي بدأت وجودها في عزلة دبلوماسية وفي ضعف اقتصادي تستجدي الولايات المتحدة ودولاً أُخرى. فبعد سنة 1967 ،أصبحت تعتبر المساعدات المالية الأميركية دفعات مستحقة على بوليصة تأمين للمصالح الاميركية بالذات، وبدأت تؤدي الدور الرئيس والمبادر إلى تحديد علاقتها بالولايات المتحدة. وإذا ألقينا نظرة سريعة على تطور العلاقات بين الدولتين بعد الحرب لرأينا أن زمام المبادرة وتأطير العلاقات كان محصوراً بتل

أبيب. وهكذا تطورت العلاقات من علاقة خاصة ومتميزة (في أثناء تولي كل من ريتشارد نيكسون وجيمي كارتر سدة الرئاسة) إلى "وكيل معتمد" ثم "شريك" ثم "حليف استراتيجي" في أثناء رئاسة ريغن. وأصبحت قيمة إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة إلى الولايات المتحدة تفوق بكثير اهتمام الأخيرة بتسوية الصراع العربي – الإسرائيلي. ولا شك في أن أثر حرب الايام الستة في الجالية اليهودية في الولايات المتحدة كان عاملاً مهماً في تلك التطورات الاستراتيجية. فشعور الكبرياء الذي أحدثته الحرب في نفوس اليهودالأميركيين كان بدوره حافزاً أساسياً على القفزات النوعية في التنظيم الاجتماعي، الذي دفع اللوبي اليهودي في أميركا إلى الأمام ومكنه من التنسيق مع إسرائيل في تأطير علاقتها بالولايات المتحدة. وتبرز ظاهرة فخر اليهود الاميركيين بيهوديتهم من خلال دراسة قام بها عالم الاجتماع ملتون هيملفارب (Himmelfarb Milton ،(أحدقادة اللجنة اليهودية – الأميركية (AJC (Committee) Jewish–American) حيث تبيّن ما يلي: في أوائل الستينيات، كان هناك أغلبية بين الطلاب اليهود تفضل لو كانت ديانتها أسقفية (Episcopalian) . لكن عندما قام باستفتاء الجيل الثاني من التلاميذ، في أوائل الثمانينيات، وجد أن الأغلبية تتساءل: "ماذا تعني بالأسقفية؟ " واستنتج الباحث من ذلك أن "كراهية النفس بين اليهود قد استبدلت باحترام النفس والجزم." وأضاف قائلاً: "إن كثيرين من هؤلاء الطلاب لم يجرؤوا على ارتداء قبعة الرأس قبل عشرين عاماً، أمّا الآن فيبدون فخورين بلبسها".

الجدير بالذكر أيضاً أن فترة ما بعد حرب حزيران 1967 شهدت تحولاً ملحوظاً من حيث ازدياد الزيجات المختلطة لدرجة أن قادة الجالية بدأوا يبدون قلقهم وخوفهم من أن تتلاشى الهوية اليهودية في الجالية. ففي الخمسينيات، كان شخص واحد من ثمانية أشخاص يتزوج خارج الجالية، وفي أوائل الثمانينات ازدادت تلك النسبة إلى شخص واحد من ثلاثة أشخاص. كما أن عدد السكان اليهود في الولايات المتحدة نقص من 6 ملايين نسمة سنة 1954 إلى 5,5 ملايين نسمة سنة 1984 . لكن على الرغم من ذلك، فإن هبوط درجة التقيد بالطقوس الدينية في السبعينيات والثمانينيات كان يسير بشكل مواز لصعود درجة الفخر باليهودية.

وكتب الأستاذ في جامعة هارفرد، ناثان غليزر (Glazer Nathan) بشأن تلك الظاهرة ما يلي : ربما الناس أقل تمسكاً بالدين من السابق، لكن الحقائق تدل على أنهم يعرفون أنفسهم بأنهم يهود. إن افتخار اليهود بيهوديتهم بعد حرب الايام الستة 1967، الذي اقترن بتطور ملحوظ في تنظيم الجالية ودعمها لإسرائيل قد أوجد حقائق جديدة فيما يتعلق بنشاط الجالية. فبعد أن كان النشاط مركزاً على الصدَقَة وجمع التبرعات، بدأ يأخذ شوطاً أوسع من السابق في أعمال اللوبي اليهودي . فقد تطور هذا اللوبي وأصبح أوسع كثيراً من تلك المنظمات التي تمارس الضغط على الكونغرس والبيت الأبيض، ليشمل قطاعاً كبيراً

من الصحافة القومية ومن كبار المعلقين وأقطاب هوليود والعلماء وشخصيات مرموقة في المجتمع المدني . أمّا المنظمات التقليدية اليهودية التي تأسست قبل تكوين إسرائيل مثل "الكونغرس اليهودي الأميركي" (Congress Jewish American)،و"عصبة مكافحة التشهير" (League Defamation–Anti)، و"مجلس الاتحادات اليهودية" وغيرها من المنظمات التي كانت تقوم بخدمات اجتماعية وثقافية للجالية، فإنها تحولت إلى منظمات مساندة لإسرائيل، وازداد عدد تلك المنظمات، وبدأت تخوض معارك شرسة للدفاع عن مصالحها. ولا شك في أن أقوى تلك المنظمات التي نشأت بعد تكوين دولة إسرائيل هي "لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية – الأميركية – أيباك" (American israel Public affers committee –aipac) التي حصلت على نفوذ قوي داخل الأحزاب السياسية الأميركية وفي الكونغرس. وعلى الرغم من أن "أيباك" أداة إسرائيلية، فالجدير بالذكر أنها تتصرف كأنها مستقلة عن إسرائيل وقادتها، سواء أكانوا من حزب الليكود أم من حزب العمل ام من احزاب اخرى. وكان يتسحاق رابين حاول قص أجنحتها بعد تقلده رئاسة الحكومة بعد حرب الخليج الاولى عام 1991 ، إلا إن رابين قتل وهي ما زالت تتمتع بنفوذ قوي جداً. وفي الارجح ان خلافاتها مع إسرائيل، بين الحين والآخر، لا تقوم في الواقع على أسس استراتيجية جذرية، وإنما على أمور تكتية . وقد ألف الكاتب إدوارد تيفنان (Tivnan Edward) كتاباً عن "أيباك" بعنوان "اللوبي". حيث "أل" التعريف تشير إلى أن منظمة "أيباك" ليست بحاجة إلى تعريف، فهي اللوبي في حد ذاته ولا ضرورة للسؤال: "أي لوبي؟" وقال عضو الكونغرس االزنجي جورج كروكيت (Crocket George) : "كم كنت أتمنى أن يكون السودالأميركيون في مثل ذلك المستوى من التأهب للعمل." كما وصف عضو الكونغرس الأسود ميرفن دايمالي (Dymally Mervin") ألايباك" بأنها "قطعاً أكثر مؤسسات الضغط تأثيراً..... وأن قيادة اللجنة تتصدى لأي نقد لسياسة إسرائيل... والواقع لو أنني كنت عضواً في الكنيست لتوفرت لي حرية نقد إسرائيل أكثر مما تتوفر لي الآن" . وكثيراً ما أكد قادة "أيباك" أن العامل الرئيس في نجاح مؤسستهم يعودإلى التجانس بين أهداف أميركا وأهداف إسرائيل، وهذا يعني أن عمليات الضغط على المؤسسة السياسية الأميركية بدأت تقل كلما ازداد التجانس بين أهداف البلدين. وقد وصل ذلك التجانس إلى ذروته في عهد الرئيس بيل كلينتون الذي أحاط نفسه بعدد هائل من اليهود على أرفع مستويات الدولة. ويمكن القول في الواقع إن اللوبي اليهودي في عهد كلينتون قد تحول، فعلاً، من مؤسسات تضغط للتأثير في صنع القرار إلى منظّر للقرارات السياسية داخل البيت الأبيض وداخل وزارة الخارجية ووزارات أُخرى مثل وزارة المالية وغيرها.

5 – مرحلة الثمانينيات وتأثيراتها:

إذا كانت حرب سنة 1967 قد عززت الهوية اليهودية المناصرة لإسرائيل في الجالية اليهودية في أميركا وبلورت المؤسسات الاجتماعية والسياسية فيها إلى مستويات رفيعة، فإن تطورات أُخرى تلت تلك الحرب أدت إلى تغييرات في رؤية الجالية لذاتها ولإسرائيل. والأحداث المهمة التي جرت في عقد الثمانينات كانت ثلاثة؛ اثنان منها على الصعيد الخارجي (في الشرق الأوسط) والحدث الثالث على صعيد الوضع الداخلي، وهي: الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982؛ ودور حزب الليكود في تلك الحرب وفي بناء المستعمرات في الضفة الغربية على نطاق واسع؛ ثم تفجر الانتفاضة عام 1987 بعدذلك. وكان لكل تلك الأحداث مضاعفات انعكست على وضع الجالية ورؤيتها لذاتها ولإسرائيل. فالاجتياح، الذي دفع مئات الآلاف من الإسرائيليين إلى التظاهر في الشوارع ضد حكومة الليكود، كان له أثر مماثل في أوساط الجالية اليهودية في أميركا، لكنه لم يؤد إلى تظاهرات في الشارع. لكن عدم الارتياح لنتائج الغزو الإسرائيلي وضحاياه المدنيين من فلسطينيين ولبنانيين كان واضحاً في أوساط الجالية، وعبّر عنه الكثيرون من قادتها في تصريحاتهم ومناشداتهم لقادة الحكومة الإسرائيلية. وقد تضاعفت الإدانة في أثناء حصار بيروت ثم في إثر مذابح صبرا وشاتيلا. إلاّ إن قادة الجالية كانوا يفقهون تماماً أن خدماتهم لإسرائيل هي في مجال الصدَقَة وتأثيرهم في السياسة الأميركية، لكنها لا تشمل خوض حروبها. وذلك في حد ذاته لا يزال الخط الفاصل والحاسم في علاقة االفريقين، فمهما كان هناك من خلافات بشأن الرؤية، فإن ما يسمى أمن إسرائيل هو أمر إسرائيلي في آخر المطاف.

بالإضافة إلى عدم ارتياح الجالية للاجتياح كان هناك مسألة المستعمرات التي شرعت في إقامتها حكومة مناحم بيغن على قدم وساق. ففي الآونة نفسها، كانت استطلاعات الرأي العام داخل الجالية اليهودية تبين أن الأغلبية كانت تعارض بناء المستعمرات وتؤيد تعليق قرارات البناء والتوسع. فعلى سبيل المثال، قامت اللجنة الأميركية – اليهودية باستطلاع سنة 1984 ،تبين منه أن 51 %من أعضاء الجالية يؤيدون التعليق في سبيل مفاوضات سلمية، بينما عارض ذلك 28 % وتبين من الدراسة نفسها أن الجالية كانت تعارض حزب الليكود في إسرائيل بنسبة 55 % في مقابل 25 % ومن الملاحظ أيضاً أن الجالية اليهودية بدأت تخسر وحدتها التي برزت بعيد حرب سنة 1967 . ففي أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، بدأت شقة الخلاف تبرز في أوساط الجالية تبعاً لتطورات سوسيولوجية وسياسية في الولايات المتحدة وفي إسرائيل نفسها. ففي الولايات المتحدة أصبح واضحاً أن الموقف الليبرالي لم يعد يشكل العنوان السياسي للجالية اليهودية في أميركا، إذ أخذت تتجه إلى اليمين السياسي، وبدأت نسبة الأصوات اليهودية المؤيدة لمرشحي

الحزب الجمهوري تزداد بصورة ملحوظة، علماً بأن الحزب الديمقراطي يُعتبر البيت الرئيس للجالية اليهودية. وكانت أسباب ذلك تشمل النهضة السياسية في الجالية السوداء (أو ما يسمى الجالية الإفريقية – الأميركية)، التي برز فيها القس جِسي جاكسون (Jackson Jesse) مؤيداً للحقوق الفلسطينية وناقداً لإسرائيل، وكانت إحدى نتائجها برنامج الحصة النسبية (الكوتا) الذي أُدخل في القانون الأميركي لإعطاء السود نسبة أعلى من الوظائف. ذلك بالإضافة إلى الأجواء التي كانت تبيّن تعاطفاً مع الفلسطينيين في بعض البؤر الليبرالية واليسارية وشجباً لماقامت به من مخالفات لحقوق الإنسان، وخصوصاً بعد تولي أريئيل شارون منصب وزير الدفاع، ومواصلة سياسة "القبضة الحديدية" في أثناء تقلد يتسحاق رابين ذلك المنصب. وبالنسبة إلى جِسي جاكسون وأندرو يونغ (Young Andrew) ،سفير أميركا لدى هيئة الأمم، الذي تبيّن أنه اجتمع بممثل منظمة التحرير، زهدي الطرزي، خلافاً للتعهد الذي التزمته الحكومة الأميركية، فإن زوبعة سياسية تفجرت على الساحة الأميركية كانت نتائجها العملية صداماً بين الجالية السوداء والجالية اليهودية. وزادا لطين بلّة موقف اليهود من برنامج الكوتا الذي كان قريباً من موقف التيارات المحافظة واليمينية التي اعتبرت الكوتا معاملة مميزة لمصلحة السود، وهو موقف كان يعتبر عنصرياً . إن حصيلة تلك التطورات بأكملها كانت ظاهرة جديدة وهي أن نسباً متزايدة من اليهود أصبحت تميل إلى الحزب الجمهوري. وقد اعتبرت مجلة "كومنتري" (Commentary)، لسان حال اللجنة الأميركية – اليهودية، سنة 1980 منعطفاً أساسياً في حياة الجالية اليهودية، وخصصت العدد 61،رقم 1 ،كانون الثاني 1980، للاستئناس بآراء خمسين شخصية يهودية من أصحاب الرأي والفكر بشأن هذه الأمور. والسؤال الذي طُرح عليهم هو: هل سيبتعد اليهود عن الحزب الديمقراطي؟ وإذا كان هناك إجماع فإن بنوده الرئيسية كانت ما يلي:

1 – كان من الضروري الابتعاد عن الحزب الديمقراطي ابتداء من سنة 1972 حينما تقلد اليسار الجديد مراكز حساسة في الحزب .

2 – كثيرون من أعضاء الكونغرس اليهود يؤيدون سياسات تتناقض مع مصالح إسرائيل – مثل معارضة برنامج تأييد الكونترا في نيكاراغوا، وبرنامج تأييد السندانيستا الذين يتعاطفون مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقد أقرّ بعضهم بأنه من الصعب أن يكون الشخص من أنصار إسرائيل، وفي الوقت نفسه من النشطاء في حركة الحريات المدنية. وخلاصة الأمر أنه في أوائل الثمانينات أصبحت نسبة أنصار الحزب الجمهوري بين اليهود أعلى مما كانت عليه، إلاّ إن الموقف الليبرالي كان لا يزال موقف الأغلبية المطلقة . أمّا الظاهرة السوسيولوجية التي برزت داخل إسرائيل في الفترة نفسها (أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات)

فهي الازدياد الملحوظ في عدد اليهود الشرقيين، والانخفاض في صفوف اليهود الأوروبيين. وقد رافقت تلك الظاهرة الديموغرافية ظاهرة سياسية وهي انجراف إسرائيل المتزايد نحو اليمين السياسي والديني، الأمر الذي أزعج الجالية اليهودية في أميركا المتعاطفة مع الأشكنازوالمعادية، بصورة عامة، للطائفة الأورثوذكسية في إسرائيل. وبقدوم مناحم بيغن وحزب الليكود إلى الحكم، بدعم من الناخبين من جناح السفاراديم، جرى تحالف بين هذه الفئات وطائفة الأورثوذكس التي انتهزت الفرصة لتعبئة المستعمرات التي بناها بيغن، ولبناء قاعدة لها في حكومته. حتى إن بيغن حاول أن يحصل على قانون من الكنيست يعرّف من هو اليهودي، وفقاً لعقيدة الأورثوذكس التي تتنافى كثيراً مع وجهتي نظر الإصلاحيين (Reformists) والمحافظين (Conservatives) الذين يتمتعون بثقة الأغلبية الساحقة في الجالية اليهودية في أميركاوبدعمها.

هكذا، لم يعد التنافر بين الجالية اليهودية والمؤسسة السياسية في إسرائيل أمراً خفياً، خاصة أن رجال الدين الأورثوذكس يتمتعون باحتكار عقودالزواج وقرارات الطلاق والميراث والدفن، أي مسائل الأحوال الشخصية كافة. وبالتالي، فإن أي زواج يعقده حاخام من طائفة الإصلاح في إسرائيل يعتبر غير شرعي وغير ساري المفعول. ولا يزال هذا الخلاف يؤدي إلى النفور بين الجالية اليهودية في أميركا والمؤسسة الدينية – السياسية في إسرائيل؛ أما شعور الولاء لإسرائيل، كعنوان لليهود وكمحور للهوية اليهودية، فإنه لا يتأثر بمثل تلك الخلافات.

ولا شك في أن هذا التمييز لمصلحة الفئة الأورثوذكسية يُشكّل معضلة بالنسبة إلى ما يسمى الشعب اليهودي، وإلى الشعب الإسرائيلي – اليهودي أيضاً . النمط الجديد للتبرعات الأميركية هناك ظاهرة جديدة وملحوظة تكتب عنها الصحف وتتوضح من خلال التحقيقات الصحافية في إسرائيل وفي الولايات المتحدة،وهي أن القسط الأكبر من التبرعات اليهودية للصناديق المعهودة أصبح يكرّس لمشاريع محلية. وأصبحت الجوالي اليهودية في شتى المدن الأميركية تتنافس في شأن أموال التبرعات، التي يصرف معظمها في حقل الشؤون الاجتماعية لدعم التعليم،وخصوصاً تعليم الأطفال، ولتحسين الأوضاع الاجتماعية للطبقات الفقيرة. ولا شك في أن حافزاًرئيسياً على التحول الجذري في نمط التبرعات هو شعور بالذعر ينجم عن ازديادالزواج اخملتلط، وبالتالي إمكان تلاشي الهوية اليهودية. فالآن بدأ تياران، داخل إسرائيل وخارجها، يحتلان محل التيار الفكري الصهيوني التقليدي: الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية (Post–Zionism .(تتمركز الصهيونية الجديدة في أوساط اليهودالشرقيين (السفاراديم) والفئات الأورثوذكسية المتدينة التي تعيش في المستعمرات وغيرها وفي أوساط الجالية الروسية. ولا يحاول هذا

التيار أن يخفي طبيعته التوسعية والإجرامية، ولا يرتدي ثوب الليبرالية ويدعي المساواتية، وإنما يقول صراحة إن الهدف هو بناء جمهورية دينية – إثنية لا جمهورية الاشتراكية القائمة على العدالة الاجتماعية . إن هذا التيار لم يتقلد مركز السلطة في إسرائيل بعد، إلاّ إنه يدّعي أنه التيار القادر على تحديد علاقة اليهود بالعرب في فلسطين وربما خارجها. أمّا تيار ما بعد الصهيونية فإن رؤيته وتفسيره للتاريخ لم يتخذا شكلاً محدداً بعد، لكنه يقف بارتباك إزاء التطورات الجارية في إسرائيل، تارة مستهزئا ً وتارة مشمئزاً وتارة أُخرى فاتر الشعور .

إن هذه التطورات الجارية داخل المجتمع الإسرائيلي تنعكس على الجالية اليهودية في أميركا التي تدرك تماماً أن إسرائيل تشكل بالنسبة إليها مركز الثقل ليهود العالم ومحور حياتهم. لكن إسرائيل بتيارها الصهيوني الجديد ترمز إلى متاعب بالنسبة إلى تلك الجالية التي لا تشعر بالارتياح إزاء التوجه الديني التوسعي. وفي الوقت نفسه، فإن هذه الجالية ليست جاهزة لتعديل علاقتها بإسرائيل، بل تبعد كل البعد عن اتخاذ أي خطوات ملموسة يمكن أن تفسر بتغيير في العلاقات. وعلى الرغم من كل ذلك، فإن هناك تياراً تحتياً يشير إلى تساؤلات كثيرة تنبع من أوساط متعددة في الجالية اليهودية في أميركا حصيلتها أن هناك أخطاء وتجاوزات لا بد من معالجتها . ولا تنبع هذه التساؤلات من الجالية اليهودية في أميركا وحدها فقط، بل تشعر قطاعات من اليهود في مختلف بلاد العالم أيضاً بأن الصهيونية العالمية تواجه أزمة. فالارتباط العضوي بين الصهيونية العالمية وإسرائيل وتحركهما من خلال مؤسسات، مثل الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي، وغيرهما من مؤسسات قائمة على أسس عنصرية، جعل إسرائيل مركزاً للتوسع والهيمنة والعداء، الأمر الذي يحد من إمكاناتها فيما يتعلق بالتعامل الطبيعي والتعايش السلمي مع جيرانها ً وفقا للأعراف الدولية. كما أن ما يسمى عملية السلام لم يعد سوى استكمال للسيطرة على الأرض في أوضاع اللا – حرب. وفي هذه الأوضاع بدأت تشعر فئات من اليهود في إسرائيل وفي مختلف بلاد العالم بأن اليهود بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في مفاهيمهم وقيمهم وأخلاقياتهم. فالخطاب الإسرائيلي مفعم بتاريخ مأساوي يبرز اليهود كالضحية الكبرى الابدية والفريدة في نوعها، كأن سجلات التاريخ لا تتسع لأكثر من تلك الضحية. وتبيّن مقولاتهم أن اليهود يحتكرون العذاب والمقاساة، بينما غيرهم لم يقاس،ومن هنا نجدهم غير قادرين على استيعاب فكرة أنهم، فعلاً، اقترفوا جرائم حرب (بالمفهوم القانوني في إطار مرافعات نورمبرغ) ضد الشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب العربية في لبنان والأردن وسورية ومصر وإيران وتونس وليبيا. إلاّ إنه لم يعد نادراً أن تنخر العالم اليهودي الآثار الخلقية والنفسية للاحتلال الذي حوّل اليهود، ضحايا محرقة النازيين سابقاً، إلى جلادي الشعب الفلسطيني حالياً . وعلى الرغم من تعصب جزء

كبير من اليهود الأميركيين لإسرائيل، فإن هناك شعوراً قوياً في أوساطهم بأن إسرائيل ربما أصبحت إلهاً مزيّفاً، وبأنها أصبحت البديل من الديانة اليهودية.

في هذا السياق، كتب توماس فريدمان، في كتابه "من بيروت إلى القدس" (From Beirut to Jerusalem)،أن سنة 1967 شكلت نقطة التحوّل، فلم تعد إسرائيل بيت الحماية لليهود المضطهدين وإنما أصبحت، بكل فخر، محور الهوية اليهودية، إذ إنها حلّت محل التوراة والكنيس. . ويقول البروفسور الحاخام أرثر هيرتسبرغ (Hertzberg Arthur)،في كتابه "اليهود في أميركا" إن ذلك التحول خلّف فراغاً روحياً في الحياة اليهودية، إذ لم يعد اليهودي يعرّف نفسه بديانته، وإنما باستعداده لمحاربة العدو، وبميله إلى اليهودالآخرين. ويضيف الحاخام الأعلى السابق، السير إيمانويل جاكوبوفيتز: أن "قيماً مثل السلم والصلح والتسامح والشفقة على مقاساة الآخرين، حتى لو كانوا أعداء، والإيمان بانتصار المنطق الإنساني – وكلها قيم تمتد في عمق التقليد اليهودي – الا انها قد تلاشت من أبجدية القيم الدينية لدى اليهود.

6 – الأجيال الشابة وابتعادها عن اليهودية:

إن قضية الأجيال الشابة وابتعادها عن اليهودية والشعور بعدم الانتماء للمشروع الصهيوني(إسرائيل) تشكل أحد الملفات الساخنة التي تعالجها الحركة الصهيونية من خلال معاهدها ومؤسساتها المختلفة، ومن بينها "معهد سياسة الشعب اليهودي". فقد جاء في أحد التقارير الأخيرة أن من بين أسباب ابتعاد الأجيال الشابة عن اليهودية والمؤسسات الصهيونية, هو ابتعاد الأهالي عن هذه المؤسسات وعدم إرسال أبنائهم إليها. فمثلاً، 25% "فقط" من اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية يرسلون أبناءهم إلى مدارس ومؤسسات يهودية، بينما ترتفع هذه النسبة في فرنسا إلى 40% وفي بريطانيا 60% وتهبط في ألمانيا إلى 20% وفي دول الاتحاد السوفييتي السابق إلى 15%.

وبنظر الحركة الصهيونية وإسرائيل، فإن الانخراط في المدارس والمؤسسات اليهودية يشكل مؤشراً على تمسك الأجيال الناشئة بديانتهم. وعلى الرغم من إثارة هذه القضية بشكل مكثف خلال العقدين الأخيرين، إلا أن كل الأبحاث والاستطلاعات تدل على تراجع مستمر في نسب المنخرطين في هذه المؤسسات. وما يعزز هذه الاستنتاجات هي معطيات استطلاع أجري في الولايات المتحدة وكشف الكثير عن ابتعاد اليهود عن هذه المؤسسات وما يحمله ذلك من آثار. ويقول الاستطلاع إن نسبة الزواج المختلط بين اليهود في أمريكا بلغت في السنوات الأخيرة 58%، بينما ترتفع بين العلمانيين من اليهود وحدهم إلى 71%. كما قال

الاستطلاع إن 32% من اليهود في سن 32 عاماً وما دون يعتبرون أنفسهم "من دون ديانة"، وهي نسبة ترتفع باستمرار، بحسب البحث الذي رافق الاستطلاع. ويقول مدير عام "مركز تخطيط سياسات الشعب اليهودي" نحمان شاي: "إن نحو 50 يهودياً في الولايات المتحدة يتحولون عن اليهودية يومياً". وشدد شاي في مقابلة أجراها معه التلفزيون الإسرائيلي على أن "الوجود اليهودي في الولايات المتحدة يتعرض لخطر كبير؛ بسبب حالات التحول الواسعة من الديانة اليهودية إلى الديانات الأخرى". واعتبر أن أكبر خطر يواجه اليهود في الولايات المتحدة هو الزيجات المختلطة (بين اليهود وأصحاب الديانات الأخرى)، وذوبان اليهود في المجتمع الأمريكي. وفي السياق ذاته حذر شاي من أن دولة إسرائيل ستكون أكبر خاسر من هذا الواقع، لافتاً إلى أن إسرائيل تعتمد بشكل كبير على دور المنظمات اليهودية في الضغط على إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش والكونجرس الأمريكي من أجل الاستجابة للمطالب الإسرائيلية.

في هذا السياق يتحدث تقرير آخر لمعهد سياسة الشعب اليهودي، عن ابتعاد الأجيال الشابة عن اليهودية والسياسات الإسرائيلية، "إن الكثير من الشبان اليهود الأمريكيين الذين يرفعون رايات أخلاقية بمستويات عالية، يتوقعون من البلدان التي يشعرون بالانتماء إليها، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، أن تتصرف بالمعايير الأخلاقية نفسها. فإلى جانب انتقاداتهم لإسرائيل ينتقدون الولايات المتحدة أيضاً، ونرى قادة ومثقفين يهوداً أمريكيين يكثرون من وصف أنفسهم بأنهم يؤمنون بالعدالة الاجتماعية، على المستويين العالمي والمحلي".

ويتابع التقرير "إنه على أساس ما جاء، وخلافاً لأجيال سابقة، فإن زيارة هذه المجموعات إلى إسرائيل تزيد من انتقاداتهم للسياسة الإسرائيلية. وقد انتقد أحد الشبان اليهود مستوى الحياة في إسرائيل وكيفية التعامل مع "تجارة الجنس والعاملين فيها، واضطهاد العمال الأجانب، وقضايا البدو الذين لا تتوفر لديهم المياه".

ويطرح تقرير "معهد سياسة الشعب اليهودي" الجديد موضوع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في صيف 2014 كنموذج لتباين المواقف، إذ يشير إلى إنه إلى جانب بيانات التأييد لإسرائيل من المنظمات والشخصيات اليهودية، ظهرت أيضاً انتقادات غير قليلة لإسرائيل، من كتاب يهود مؤثرين. كذلك، فقد نشبت مؤخراً خلافات حادة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في مسائل تتعلق بالمفاوضات مع الجانب الفلسطيني. ولكن خلافات أكثر حدة ظهرت إبان المفاوضات بين الدول الكبرى وإيران، والتي انتهت بتوقيع اتفاق. والموقف الإسرائيلي، الذي تميز بالتشدد والحدة، وضع بعض شخصيات المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة في وضع حرج.

والحرج نفسه كان، أيضاً، من رد فعل إسرائيل على ما أسماه التقرير "الأحداث اللاسامية في العالم، وبالأساس في فرنسا"، إذ أن دعوة إسرائيل اليهود الفرنسيين للهجرة إليها بسبب تلك العمليات سببت حرجاً كبيراً، هي أيضاً، وتداولت المجتمعات اليهودية سؤال ما إذا كان من المناسب أن تطلق "إسرائيل" مثل هذه الدعوة بصورة علنية.

ونذكر هنا أن ما أجج هذا الجدل داخل المجتمع الفرنسي اليهودي، تحديداً، هو رد فعل الرئاسة والحكومة الفرنسيتين الغاضب على دعوات إسرائيل، التي واجهت انتقادات علنية من داخل "إسرائيل" ومن يهود فرنسيين أيضاً.

ويشير التقرير بشكل واضح إلى نتائج الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية الاخيرة وتاثيراتها إذ جاء: "كذلك، تؤثر الأحداث الإسرائيلية الداخلية على العلاقات مع اليهود في العالم. ففي ربيع هذا العام جرت الانتخابات البرلمانية، وقبيل الصيف تشكلت حكومة جديدة تسعى إلى تحقيق أهداف لا يتفق معها كثير من يهود العالم، ومنهم يهود الولايات المتحدة أساساً، وخصوصاً في مسائل العلاقة بين الدين والدولة". كما كان المعهد ذاته قد أشار في تقرير سابق له إلى موقف يهود العالم من قانون "إسرائيل دولة القومية اليهودية"، إذ يعتبرون أنه قانون زائد ولا حاجة له، كما يجدون صعوبة في تفسيره أمام مجتمعاتهم الديمقراطية، عدا عن كونه يعيد مسألة "من هو يهودي" إلى الواجهة.

وتسعى الأحزاب الدينية المتزمتة والصهيونية المشاركة في الحكومة، مثل "يهدوت هتوراة" و"شاس" والبيت اليهودي"، إلى سَنِّ سلسلة من القوانين التي تشدد قبضة المؤسسة الدينية على مناحي الحياة العامة، وخصوصاً في ثلاثة جوانب أساسية: "حلال الأغذية"، "العمل والمواصلات أيام السبت" و"قانون الزواج" (أي، الزواج المدني). وحتى الأيام الأخيرة، أدرج على جدول أعمال الكنيست حوالي 60 مشروع قانون من المتدينين والعلمانيين، تتعلق كلها بالعلاقة بين الدين والدولة. والائتلاف الحاكم ليس متماسكاً في هذا الملف الساخن، إذ أن كتلة "كولانو" (كلنا) تميل إلى المحافظة على الوضع القائم، دون إجراء أي تغيير فيه، لأنها تعارض تشديد القوانين القائمة. وفي المقابل، فهي تعد بعدم تأييد مبادرات لسن قوانين تغير الوضع القائم في اتجاه العلمانية. وهو ما يسعى إليه حزب الليكود الحاكم، أيضاً.

الجدير بالذكر أن نصف يهود العالم ليسوا مقتنعين بأن الحكومة الإسرائيلية الحالية تسعى بجدية للتوصل إلى اتفاق مع الجانب الفلسطيني، على الرغم من أن غالبية اليهود تؤمن، بحسب التقرير، بما يسمى "أخلاقية الجيش الإسرائيلي".

ويقول التقرير إن هنالك حالة من التقاطب الآخذ في التعمق خلال العقدين الأخيرين في المجتمعات اليهودية في العالم، وخصوصاً في الولايات المتحدة، تؤدي إلى تضاؤل الجمهور الوسطي في مجالات مختلفة، ومن هذه القضايا الخلافية مسألة التقرب من إسرائيل وشكل العلاقة معها. ويشتد هذا الخلاف حينما تكون إسرائيل موضوع جدل دولي في فترات ما، مثل فترات المواجهات المسلحة، مثلما حصل خلال العدوان على غزة في صيف العام 2014 .

ويورد التقرير نتائج استطلاع المعهد الأمريكي "بيو"، والتي ظهرت قبل بضعة أشهر، وتطرق إلى رد فعل اليهود في الولايات المتحدة على "المواجهات المسلحة"، بحسب تسمية التقرير، إذ اتضح أن أصحاب المواقف الليبرالية كانوا أقل ارتباطاً بإسرائيل ووقوفاً إلى جانبها من أصحاب المواقف المحافظة، ما يعني أن المواقف السياسية تؤثر على الموقف من إسرائيل والعلاقة بها، وخصوصاً في حالات التوتر.

ويؤكد التقرير أن نتائج هذه الاستطلاع، كما غيره من الاستطلاعات أيضاً، تؤكد وجود حالة عدم رضى من السياسة الإسرائيلية يتخللها توجيه انتقادات إليها، وخصوصاً من الأجيال الشابة غير المتدينة. ويبرز هذا أكثر لدى الأجيال الشابة في الولايات المتحدة وكندا. وهذه الانتقادات تشتد أكثر في كل ما يتعلق بعلاقة الدين بالدولة، في دولة إسرائيل.

وبحسب التقرير، ترى المنظمات اليهودية أن لديها الحق في أن تطلب من إسرائيل تنسيق مواقفها معها، لأن سياساتها تؤثر عليها وعلى نشاطها في بلدانها. وفي تلخيصه لهذا الجانب، يقول تقرير "معهد سياسة الشعب اليهودي" إن "اليهود في العالم يفهمون أن إسرائيل موجودة في بيئة خطرة، وأن هذا الوضع يلزمها أحياناً باستخدام القوة العسكرية ضد أعدائها. وهم ليسوا على قناعة بالقدر الكافي بأن إسرائيل تفعل كل ما في وسعها من أجل تجنب المواجهة، إلا أنه في كل ما يتعلق بطابع القتال ومحاولة تجنب المس بالأبرياء، فيبدو أن غالبية اليهود يتقبلون الرواية الإسرائيلية بأنها تبذل جهدا في هذا الشأن".

إن طبيعة علاقات أبناء الديانة اليهودية في العالم بإسرائيل محكومة لتوجهات كل واحدة من المجموعات والمنظمات، وكذلك التيارات المنتشرة بين اليهود". هذا ما قاله تقرير جديد ل"معهد سياسة الشعب اليهودي"، التابع للوكالة اليهودية الصهيونية, وأعطى التقرير مثالاً واضحاً بقوله إن علاقة المجموعات ذات التوجهات الليبرالية بإسرائيل وتأييدها لسياساتها أضعف من المجموعات ذات التوجهات المحافظة.

ويذكر، بناء على تقارير أخرى، أن غالبية يهود العالم تتبنى توجهات ليبرالية أو بعيدة عن الديانة وعن المؤسسات الصهيونية.

و"معهد سياسة الشعب اليهودي"، أو حسب تسميته السابقة "معهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي"، بدأ عمله في إطار الوكالة الصهيونية في العام 2004، ويرأس مجلسه الإداري، في السنوات الأخيرة، المستشار السابق للرئيس الأمريكي دينيس روس. واضطر المعهد مؤخراً إلى إسقاط كلمة "تخطيط" من اسمه، نظراً لما خلقته من حساسية لدى المنظمات اليهودية، التي ستبدو وكأن المعهد، كذراع للوكالة الصهيونية، هو من يحدد لها نهجها المستقبلي. وتنبع أهمية المعهد من حقيقة أن حكومات إسرائيل تبنت الكثير من تقاريره وتوصياته في السنوات الأخيرة.

ويصدر المعهد سنوياً تقارير عن أوضاع اليهود في العالم، مع تركيز خاص على علاقاتهم بإسرائيل، إضافة إلى تقديم تقارير متخصصة، وخصوصاً في المواضيع الديموغرافية، إلا أنه أصدر في العام الجاري تقريره السنوي بأجزاء تخصصية، ومنها هذا التقرير الذي يركز فيه بشكل خاص على علاقة اليهود الأمريكان بإسرائيل. وتمهيداً لتقارير بهذا المستوى، يعقد المعهد ندوات وطاولات مستديرة عديدة، لكنه يعترف في هذا التقرير بأن المسح لا يشمل توجهات يهود العالم بالضرورة، إذ أن من يتعاطى مع دعوات المعهد غالباً هم أولئك المعنيون ببلورة المجتمعات اليهودية في أوطانهم والمشاركون في المؤسسات الصهيونية والدينية في الدول المختلفة. بمعنى أن من هم بعيدون عن تلك الأطر لا يشاركون في ندوات كهذه عادة. ويقول المعهد في تقريره "إن العلاقات بين المجتمعات اليهودية في العالم، وخصوصاً بين المجتمعين الأكبرين، في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، واجهت أحداثاً وأجواء سياسية مختلفة تسببت في تعقيد هذه العلاقات. فمكانة إسرائيل في العالم وردها على أحداث سياسية مختلفة تلزم المجتمعات اليهودية بتقييم كيفية انعكاس العلاقات مع إسرائيل على أوضاعها، وبشكل أكبر من ذي قبل.

ويضيف التقرير أن هذه التقييمات تضع الكثير من اليهود أمام مصاعب جدية في بلورة العلاقات مع إسرائيل. وتبرز الصعوبة الأكبر في العالم لدى الأجيال الشابة، التي تختلف أطرها الاجتماعية ومسارات بلورة مواقفها السياسية، اختلافاً كبيراً جداً عما هو قائم لدى الأجيال المتقدمة.

وقضية الأجيال الشابة وابتعادها عن اليهودية والشعور بعدم الانتماء للمشروع الصهيوني(إسرائيل) هو أحد الملفات الساخنة التي تعالجها الحركة الصهيونية من خلال معاهدها ومؤسساتها المختلفة، ومن بينها "معهد سياسة الشعب اليهودي". فقد جاء في أحد التقارير الأخيرة أن من بين أسباب ابتعاد الأجيال الشابة عن اليهودية والمؤسسات الصهيونية, هو ابتعاد الأهالي عن هذه المؤسسات وعدم إرسال أبنائهم إليها. فمثلاً، 25% "فقط" من اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية يرسلون أبناءهم إلى مدارس ومؤسسات يهودية،

بينما ترتفع هذه النسبة في فرنسا إلى 40% وفي بريطانيا 60% وتهبط في ألمانيا إلى 20% وفي دول الاتحاد السوفييتي السابق إلى 15%.

وبنظر الحركة الصهيونية وإسرائيل، فإن الانخراط في المدارس والمؤسسات اليهودية يشكل مؤشراً على تمسك الأجيال الناشئة بديانتهم. وعلى الرغم من إثارة هذه القضية بشكل مكثف خلال العقدين الأخيرين، إلا أن كل الأبحاث والاستطلاعات تدل على تراجع مستمر في نسب المنخرطين في هذه المؤسسات.

وما يعزز هذه الاستنتاجات هي معطيات استطلاع أجري في الولايات المتحدة وكشف الكثير عن ابتعاد اليهود عن هذه المؤسسات وما يحمله ذلك من آثار. ويقول الاستطلاع إن نسبة الزواج المختلط بين اليهود في أمريكا بلغت في السنوات الأخيرة 58%، بينما ترتفع بين العلمانيين من اليهود وحدهم إلى 71%. كما قال الاستطلاع إن 32% من اليهود في سن 32 عاماً وما دون يعتبرون أنفسهم "من دون ديانة"، وهي نسبة ترتفع باستمرار، حسب البحث الذي رافق الاستطلاع.

ويقول تقرير آخر لمعهد سياسة الشعب اليهودي، عن ابتعاد الأجيال الشابة عن اليهودية والسياسات الإسرائيلية، "إن الكثير من الشبان اليهود الأمريكان الذين يرفعون رايات أخلاقية بمستويات عالية، يتوقعون من البلدان التي يشعرون بالانتماء إليها، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، أن تتصرف بالمعايير الأخلاقية نفسها. فإلى جانب انتقاداتهم إلى إسرائيل ينتقدون الولايات المتحدة أيضاً، ونرى قادة ومثقفين يهوداً أمريكان يكثرون من وصف أنفسهم بأنهم يؤمنون بالعدالة الاجتماعية، على المستويين العالمي والمحلي".

ويتابع التقرير "إنه على أساس ما جاء، وخلافاً لأجيال سابقة، فإن زيارة هذه المجموعات إلى إسرائيل تزيد من انتقاداتهم للسياسة الإسرائيلية. وقد وصف أحد الشبان اليهود مستوى الحياة في إسرائيل وكيفية التعامل مع "تجارة الجنس والعاملين فيها، واضطهاد العمال الأجانب، وقضايا البدو الذين ليا تتوفر لديهم المياه".

ويطرح تقرير "معهد سياسة الشعب اليهودي" الجديد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في صيف 2014 كنموذج لتباين المواقف، إذ يشير إلى إنه إلى جانب بيانات التأييد لإسرائيل من المنظمات والشخصيات اليهودية، ظهرت أيضاً انتقادات غير قليلة ل إسرائيل، من كتاب يهود مؤثرين. كذلك، فقد نشبت خلال العام الأخير خلافات حادة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في مسائل تتعلق بالمفاوضات مع الجانب الفلسطيني. ولكن خلافات أكثر حدة ظهرت إبان المفاوضات بين الدول الكبرى وإيران، والتي انتهت بتوقيع اتفاق. والموقف الإسرائيلي، الذي تميز بالتشدد والحدة، وضع بعض شخصيات المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة في وضع حرج.

والحرج نفسه كان، أيضاً، من رد فعل إسرائيل على ما أسماه التقرير "الأحداث اللاسامية في العالم، وبالأساس في فرنسا"، إذ أن دعوة إسرائيل اليهود الفرنسيين إلى الهجرة إليها بسبب تلك العمليات سببت حرجاً كبيراً، هي أيضاً، وتداولت المجتمعات اليهودية سؤال ما إذا كان من المناسب أن تطلق "إسرائيل" مثل هذه الدعوة بصورة علنية.

ونذكر هنا أن ما أجج هذا الجدل داخل المجتمع الفرنسي اليهودي، تحديداً، هو رد فعل الرئاسة والحكومة الفرنسيتين الغاضب على دعوات إسرائيل، التي واجهت انتقادات علنية من داخل "إسرائيل" ومن يهود فرنسيين أيضاً.

ويشير التقرير بشكل واضح إلى نتائج الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية في العام الجاري، إذ جاء: "كذلك، تؤثر الأحداث الإسرائيلية الداخلية على العلاقات مع اليهود في العالم. ففي ربيع هذا العام جرت الانتخابات البرلمانية، وقبيل الصيف تشكلت حكومة جديدة تسعى إلى تحقيق أهداف لا يتفق معها كثير من يهود العالم، ومنهم يهود الولايات المتحدة أساساً، وخصوصاً في مسائل العلاقة بين الدين والدولة". كما كان المعهد ذاته قد أشار في تقرير سابق له إلى موقف يهود العالم من قانون "إسرائيل دولة القومية اليهودية"، إذ يعتبرون أنه قانون زائد ولا حاجة له، كما يجدون صعوبة في تفسيره أمام مجتمعاتهم الديمقراطية، عدا عن كونه يعيد مسألة "من هو يهودي" إلى الواجهة.

وتسعى الأحزاب الدينية المتزمتة والصهيونية المشاركة في الحكومة، مثل "يهدوت هتوراة" و"شاس" والبيت اليهودي"، إلى سَنِّ سلسلة من القوانين التي تشدد قبضة المؤسسة الدينية على مناحي الحياة العامة، وخصوصاً في ثلاثة جوانب أساسية: "حلال الأغذية"، "العمل والمواصلات أيام السبت" و"قانون الزواج" (أي، الزواج المدني).

وحتى الأيام الأخيرة، أدرج على جدول أعمال الكنيست حوالي 60 مشروع قانون من المتدينين والعلمانيين، تتعلق كلها بالعلاقة بين الدين والدولة. والائتلاف الحاكم ليس متماسكاً في هذا الملف الساخن، إذ أن كتلة "كولانو" (كلنا) تميل إلى المحافظة على الوضع القائم، دون إجراء أي تغيير فيه، لأنها تعارض تشديد القوانين القائمة. وفي المقابل، فهي تعد بعدم تأييد مبادرات لسن قوانين تغير الوضع القائم في اتجاه العلمانية. وهو ما يسعى إليه حزب الليكود الحاكم، أيضاً.

كما يشير التقرير إلى أن نصف يهود العالم ليسوا مقتنعين بأن الحكومة الإسرائيلية الحالية تسعى بجدية للتوصل إلى اتفاق مع الجانب الفلسطيني، على الرغم من أن غالبية اليهود تؤمن، حسب التقرير، بما يسمى "أخلاقية الجيش الإسرائيلي".

ويقول التقرير إن هنالك حالة من التقاطب الآخذ في التعمق خلال العقدين الأخيرين في المجتمعات اليهودية في العالم، وخصوصاً في الولايات المتحدة، تؤدي إلى تضاؤل الجمهور الوسطي في مجالات مختلفة، ومن هذه القضايا الخلافية مسألة التقرب من إسرائيل وشكل العلاقة معها. ويشتد هذا الخلاف حينما تكون إسرائيل موضوع جدل دولي في فترات ما، مثل فترات المواجهات المسلحة، مثلما حصل خلال العدوان على غزة في صيف العام 2014، كما أورد التقرير.

ويورد التقرير نتائج استطلاع المعهد الأمريكي "بيو"، والتي ظهرت قبل بضعة أشهر، وتطرق إلى رد فعل اليهود في الولايات المتحدة على "المواجهات المسلحة"، حسب تسمية التقرير، إذ اتضح أن أصحاب المواقف الليبرالية كانوا أقل ارتباطاً بإسرائيل ووقوفاً إلى جانبها من أصحاب المواقف المحافظة، ما يعني أن المواقف السياسية تؤثر على الموقف من إسرائيل والعلاقة بها، وخصوصاً في حالات التوتر.

ويؤكد التقرير أن نتائج هذه الاستطلاع، كما غيره من الاستطلاعات أيضاً، تؤكد وجود حالة عدم رضى من السياسة الإسرائيلية يتخللها توجيه انتقادات إليها، وخصوصاً من الأجيال الشابة غير المتدينة. ويبرز هذا أكثر لدى الأجيال الشابة في الولايات المتحدة وكندا. وهذه الانتقادات تشتد أكثر في كل ما يتعلق بعلاقة الدين بالدولة، في دولة إسرائيل.

وحسب التقرير، ترى المنظمات اليهودية أن لديها الحق في أن تطلب من إسرائيل تنسيق مواقفها معها، لأن سياساتها تؤثر عليها وعلى نشاطها في بلدانها. وفي تلخيصه لهذا الجانب، يقول تقرير "معهد سياسة الشعب اليهودي" إن "اليهود في العالم يفهمون أن إسرائيل موجودة في بيئة خطرة، وأن هذا الوضع يلزمها أحياناً باستخدام القوة العسكرية ضد أعدائها. وهم ليسوا على قناعة بالقدر الكافي بأن إسرائيل تفعل كل ما في وسعها من أجل تجنب المواجهة، إلا أنه في كل ما يتعلق بطابع القتال ومحاولة تجنب المس بالأبرياء، فيبدو أن غالبية اليهود يتقبلون الرواية الإسرائيلية بأنها تبذل جهدا في هذا الشأن".

ويوصي التقرير إسرائيل بأن تكثف حواراتها مع المجتمعات اليهودية، ومع منظماتها المختلفة، على أن يكون الحوار متبادلاً، وأن تكون إسرائيل أكثر إصغاء لتوجهات هذه المجتمعات، التي تؤكد على الدوام أن سياسات إسرائيل في كل الجوانب تنعكس عليها مباشرة في أوطانها وفي العالم عامة، وعليه فإن حواراً كهذا، كما يقول التقرير، سيعزز تجند عدد أكبر من اليهود لدعم إسرائيل.

7 – انخفاض عدد يهود العالم:

على الرغم من أن هذه المشكلة كانت معروفة دائماً، إلا إن هناك الكثير من المؤشرات تدلل على أنها قد استفحلت بشكل كبير. فقد دلت معطيات جديدة أن انخفاضاً كبيراً حدث على عدد اليهود في العالم خلال ربع القرن الأخير. وذكر تقرير صادر عن "معهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي"، ومقره القدس المحتلة أنه خلال 27 عاماً انخفض عدد اليهود ب 2.3 مليون نسمة، حيث يبلغ الآن 7.76 مليون فقط. وحسب المعطيات التي نشرتها صحيفة "معاريف"، ثاني أوسع الصحف الإسرائيلية فإن عدد اليهود الذين يعيشون في العالم وإسرائيل يبلغ 13.1 مليون يهودي. وتنوه المعطيات إلى أن عدد اليهود لم يرتفع منذ العام 1970 إلا بنصف مليون نسمة. وأشار التقرير إلى أن أكبر انخفاض في عدد اليهود حدث في الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي، حيث يعيش هناك نحو 450 ألف يهودي فقط، منهم 221 ألف في روسيا، و 79 ألف في أوكرانيا. وأشار التقرير إلى حدوث انخفاض كبير في عدد اليهود في أمريكا الجنوبية، حيث انخفض عددهم هناك بنسبة 24%، حيث تبقى 393 ألف يهودي، منهم 184 ألف يهودي يسكنون في الأرجنتين، 96 ألف في البرازيل، و 40 ألف في المكسيك. وأشارت المعطيات إلى أن عدد اليهود في دول المغرب العربي يبلغ آلاف فقط، وهو ما يشكل انخفاض كبير في عددهم هناك، حيث أن عددهم بلغ في العام 1970 حوالي 83 ألف يهودي. وفي جنوب أفريقيا انخفض عدد اليهود من 124 ألف في العام 1970 إلى 72 ألف يهودي. وأضافت المعطيات أن انخفاضاً كبيراً حدث على عدد اليهود في آسيا حيث أنه من أصل 100 ألف كانوا يعيشون في القارة حتى العام 1970 تراجع العدد إلى 20 ألف يقطن معظمهم في إيران، في حين يقطن 300 يهودي في اليمن وعشرة في سوريا وواحد في أفغانستان.

وأضافت المعطيات أن عدد اليهود في أمريكا الشمالية لم يتغير على الرغم من الهجرة اليهودية الكبيرة من شرق أوروبا لهذه المنطقة، حيث يبلغ عدد اليهود في أمريكا الشمالية 5,6 مليون نسمة. وأشارت المعطيات إلى أنه قد طرأ انخفاض بنسبة 5% على عدد اليهود في أوروبا، حيث يقطن في القارة حوالي مليون يهودي، منهم 490 ألف في فرنسا، 295 ألف في بريطانيا و 120 ألف في ألمانيا. وشدد المعطيات على أن المنطقتين الوحيدتين اللتان شهدتا ارتفاع في عدد اليهود هما استراليا ونيوزيلندا، حيث ارتفع في عدد اليهود هناك إلى 111 ألف مقابل 70 إلف في العام 1970. ومقابل الانخفاض في عدد اليهود الذين يعيشون في العالم، تضاعف عدد اليهود في إسرائيل منذ العام 1970، وهو يبلغ اليوم 5.4 مليون يهودي، هم 40% من إجمالي اليهود في العالم.

ودلت المعطيات على أن أحد أسباب انخفاض عدد اليهود هو التحول عن الديانة اليهودية، إما عن طريق التحول للديانات الأخرى أو عبر الزواج المختلط عبر التزاوج مع غير اليهود. ويذكر أن الشريعة اليهودية تعتبر اليهودي هو الذي يولد فقط لأم يهودية. وأشارت المعطيات إلى أن 50% من الشباب اليهودي يتزوجون من غير اليهوديات، في حين ترتفع النسبة في روسيا إلى 70% وفي أوروبا تبلغ 45%، الأمر الذي يعني أن جميع أبناء هؤلاء سيعتبرون غير يهود.

وأشارت معطيات المعهد إلى انخفاض معدل الخصوبة لدى اليهود يمثل سبب آخر لانخفاض عدد اليهود. ففي الوقت الذي يبلغ معدل الخصوبة في إسرائيل 2.75 طفلاً للعائلة اليهودية، يصل في الغرب إلى 1.5 طفلاً للعائلة اليهودية، بينما تتدنى النسبة في الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفييتي السابق لتبلغ طفل واحد للعائلة. ونقلت "معاريف" عن مدير عام "معهد تخطيط الشعب اليهود" افينوعام بار يوسيف قوله إن السبيل لحل مشكلة الزواج المختلط هو تشجيع الهجرة إلى إسرائيل، "ولهذا الغرض يجب تخفيف حدة الشروط التي تضعها مؤسسة الحاخامية الكبرى للتهود أمام تحول غير اليهود لليهودية، وعدم إجراء تعديلات متسرعة لقانون العودة". وقال بار يوسيف "لقد تعرض الشعب اليهودي لما يكفي من الضربات في القرن السابق"، على حد تعبيره.

وتتحفظ محافل يهودية مركزية في العديد من دول العالم على مساعي إسرائيل لتشجيع هجرة اليهود إليها. فقد اعترضت قيادة الجالية اليهودية في فرنسا على جهود إسرائيل الرامية لتشجيع لهجرة اليهود الفرنسيين على اعتبار أن ذلك يضعف تأثير الجالية على دائرة صنع القرار في باريس. من ناحيته قال بروفيسور دي لا فرغولا، الأستاذ الكبير في "معهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي"، والمختص في شؤون الديموغرافية اليهودية "بالنظر إلى مواضيع الاندماج والخصوبة المتدنية، فإن يهود الشتات يوجدون في حالة عجز بين عدد المواليد وعدد الوفيات"، مضيفاً أن "الهجرة إلى إسرائيل يمكنها أن تؤثر إيجاباً، ولكن محظور جلب اليهود إلى هنا بالقوة. إسرائيل معنية بشتات قوي وأكثر يهودية، وليس بتصفية الشتات"، على حد تعبيره.

ومن جهته قال مدير عام "مركز تخطيط سياسات الشعب اليهودي" نحمان شاي: "إن نحو 50 يهوديّاً في الولايات المتحدة يتحولون عن اليهودية يوميّاً". وشدد شاي في مقابلة أجراها معه التلفزيون الإسرائيلي على أن "الوجود اليهودي في الولايات المتحدة يتعرض لخطر كبير؛ بسبب حالات التحول الواسعة من الديانة اليهودية إلى الديانات الأخرى". واعتبر أن أكبر خطر يواجه اليهود في الولايات المتحدة هو الزيجات المختلطة (بين اليهود وأصحاب الديانات الأخرى)، وذوبان اليهود في المجتمع الأمريكي. وفي السياق ذاته حذر شاي من أن دولة إسرائيل ستكون أكبر خاسر من هذا الواقع، لافتاً إلى أن إسرائيل تعتمد بشكل كبير

على دور المنظمات اليهودية في الضغط على إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش والكونجرس الأمريكي من أجل الاستجابة للمطالب الإسرائيلية.

8- 150مليون دولار لتعزيز الانتماء:

نشب خلاف مؤخراً بين الوكالة اليهودية والحكومة الإسرائيلية، على خلفية تكليف زعيم كتلة المستوطنين البرلمانية الوزير نفتالي بينيت، بإدارة مشروع يهدف إلى تعزيز انتماء أبناء الديانة اليهودية في أوطانهم، لديانتهم وللصهيونية، بعد أن أظهرت سلسلة من الأبحاث والاستطلاعات تراجعاً حاداً في هذا الانتماء، ما زاد من قلق الصهيونية العالمية، باعتبار الانتماء مصدراً أساسياً للهجرة إلى إسرائيل. وقد رصدت الحكومة الإسرائيلية 150 مليون دولار لهذا المشروع، عدا ما تصرفه الحركة الصهيونية بمئات الملايين. وتتخوف الوكالة من أن يتحول هذا المشروع إلى مشروع حزبي يسيطر عليه التيار الديني الصهيوني المتشدد، ما يجعل نجاحات المشروع محدودة، نظرا لطبيعة مجتمعات يهود العالم التي تطغى عليها الليبرالية.

وتُكثِر معاهد الأبحاث الصهيونية في السنوات الأخيرة، الحديث عن تراجع الانتماء لدى أبناء الديانة اليهودية في العالم لديانتهم، ما يزيد من ابتعادهم عن المؤسسات الدينية والتربوية والتعليمية اليهودية، وبالتالي الابتعاد عن المؤسسات الصهيونية، وعن الشعور الودي تجاه الكيان الإسرائيلي. وما يزيد قلق إسرائيل والصهيونية، أن تراجع الانتماء بات يطال أيضا أبناء اليهود الذين هاجروا من إسرائيل منذ سنوات ويقيمون في الخارج. وقال أحد أهم الأبحاث المعمقة التي أجريت في هذا المجال ونشر في السنوات الأخيرة، وتركز أساسا في الوضع القائم بين الأمريكيين اليهود، الذين يصل عددهم إلى 5.25 مليون نسمة، فقد تبين أن 50 % من الشبان الأمريكيين اليهود يندمجون في ديانات أخرى، ويتخلون عن اليهودية. كما أن 50 % من الشبان الأمريكيين اليهود لا يشعرون بأي انتماء لإسرائيل، وأن 20% فقط من الأمريكيين اليهود دون سن 35 عاماً يشعرون بانتماء قوي لإسرائيل، وأن 70 % من الأمريكيين اليهود لم يزوروا إسرائيل إطلاقاً.

كما أشار بحثان آخران إلى أن أبناء الإسرائيليين الذين يولدون في الخارج، لوالدين هاجرا من إسرائيل، يبتعدون بقدر كبير عن "الهوية والثقافة الإسرائيلية"، بحسب تعبير البحثين، اللذين بحثاً ما إذا كانت العائلات الإسرائيلية المهاجرة إلى الخارج تهتم بالحفاظ على "وهويتها وثقافتها الإسرائيلية" لدى إقامتها في الخارج، أم أنها تتبنى هوية وثقافة الدول التي هاجرت إليها، وتبين أنه على الأغلب فإن الوالدين فقط أو

البالغين من أبنائهما يحافظون بقدر ما على هذه الهوية والثقافة، بينما تضعف بقدر كبير لدى الأبناء الذين ولدوا في الخارج. ومن أهم أسباب تراجع أعداد اليهود في العالم هو الاندماج في شعوبهم، وخاصة من خلال التزاوج المختلط، إذ بحسب الشريعة اليهودية يتم الاعتراف بيهودية الشخص فقط إذا كانت والدته يهودية، بغض النظر عن ديانة والده، كما أنه لا يتم الاعتراف بأي شخص والده يهودي ووالدته ليست يهودية، إلا أن غالبية أبناء اليهوديات، الذين آباؤهم ليسوا يهودا لا يعتبرون أنفسهم يهوداً، أو أنهم في جيل متقدم يتخلون عن ديانة أمهاتهم، خصوصاً إذا كانوا خارج إسرائيل، وتتراوح نسبة الزواج المختلط بين اليهود في العالم من 25% إلى 80 %، وأعلى النسب نجدها في روسيا والجمهوريات المحيطة بها، بينما نسبة الزواج المختلط في الولايات المتحدة باتت تتعدى نسبة 50 %. كذلك فإن اليهود في أوطانهم يتأثرون بثقافاتهم الوطنية في تلك الدول، فمثلاً، استغلت إسرائيل تفجيرات وقعت في فرنسا لتحفيز الفرنسيين اليهود على الهجرة إليها، إلا أن الكثير من المحللين والخبراء الإسرائيليين أشاروا إلى أن الغالبية الساحقة جدا من الفرنسيين اليهود لن تستطيع التعايش مع الأجواء القائمة في إسرائيل، بسبب نظرتهم الليبرالية وقيم حقوق الإنسان العالية لديهم.

وقد أجرت الحكومات الإسرائيلية منذ العام 2006، إبان حكومة أيهود أولمرت وحكومات بنيامين نتنياهو الثلاث الأخيرة سلسلة من الأبحاث واتخذت قرارات، تهدف إلى أن تأخذ الحكومة الإسرائيلية دوراً في نشاط الحركة الصهيونية، في محاولة لصد ظاهرة الابتعاد عن اليهودية والصهيونية. وتبين أن الحكومة رصدت 150 مليون دولار، وسلمتها لوزارة ما يسمى "يهود المهجر"، التي يتولاها وزير التعليم الاسبق ، زعيم كتلة المستوطنين البرلمانية نفتالي بينيت، من بينها 50 مليون دولار من الموازنة العامة، و 100 مليون دولار سيسمح للوزارة بجمعها كتبرعات.

إلا أن ممثلين لمنظمات صهيونية في العالم، ومعهم رئيس الوكالة اليهودية (الصهيونية) العالمية، نتان شيرانسكي، يعترضون على إيداع مشروع "تعزيز الهوية اليهودية"، بيد الوزير بينيت، كونه من التيار الديني الصهيوني المتشدد، خصوصاً وأن بينيت وطاقمه بدأوا يتحدثون عن تعزيز انتماء "العائلة اليهودية" لليهودية، ما يعني التركيز على المفاهيم الدينية، أكثر من الانتماء السياسي العام.

وقال مصدر في وزارة "يهود المهجر" لوسائل إعلام إسرائيلية، إن المفهوم العام للحالة اليهودية العالمية يقول، "إنه في السنوات الأخيرة نشهد تراجعاً مستمراً في الهوية اليهودية بين المجتمعات اليهودية في أنحاء العالم"، وهذه الصيغة (بين قوسين) هي المقبولة كتعريف على جميع الجهات اليهودية، إلا أن الوزير بينيت

وطاقمه، بدأوا يتحدثون عن "العائلة اليهودية"، ما أثار اعتراضها بين أوساط يهود العالم، لما يوحي من تدخل في تفاصيل الحياة الخاصة، والدخول في قضايا دينية مختلف عليها.

ونقلت صحيفة "هآرتس" عن مسؤول في إحدى المنظمات اليهودية السؤال: "هل حكومة إسرائيل ستقول الآن للمجتمعات اليهودية في العالم، كيف يجب ان تدير العائلات العلاقات في داخلها"، خاصة وأن الخلاف بين الطوائف الدينية اليهودية يحتد في إسرائيل والعالم، بين التيارات المتشددة والليبرالية، وقد كانت هذه الخلافات قد اوجدت في أحيان كثيرة أزمات في حكومات إسرائيل المختلفة. وفي المحصلة يمكن القول إن رصد هذه الميزانية، والجدول القائم حول كيفية صرفها، ومن يتولى مسؤوليتها، إنما يعكس حجم الأزمة القائمة في الحركة الصهيونية، في ما يتعلق بمستقبل انتماء اليهود وهجرتهم إلى إسرائيل، وهي الجانب الأساس الذي تتغذى عليها الصهيونية لتبقى كيانها قائما.

9 – خاتمة:

شهدت العلاقات بين إسرائيل ويهود العالم في الأعوام الخمسة الماضية تحولات هامة، تنذر بحدوث تغيرات جوهرية في مكانة إسرائيل العالمية ومنعتها، وترسم علامات استفهام كبيرة على مجرد بقاء هذا الكيان في هذه البقعة من العالم. ويعزى جزء من هذه التحولات إلى تغير ظروف حياة اليهود في أرجاء العالم مقارنة بإسرائيل، في حين يعزى الجزء الآخر إلى أنماط سلوك النخبة السياسية الحاكمة في إسرائيل، لما باتت تبديه من استعداد للتفريط في علاقات الكيان الصهيوني مع الجاليات اليهودية في أرجاء العالم لدواع سياسية داخلية ضيقة. ولعل أحد أهم التطورات التي سرعت من وتيرة الفرقة بين إسرائيل ويهود العالم، وتحديدا في الولايات المتحدة وكندا، هي تمرير قانون "التهود" في الكنيست، وهو القانون الذي ينظم عملية تحول غير اليهود إلى اليهودية. فقد قابل اليهود الأميركيون الذين يشكلون أغلبية اليهود في العالم تمرير هذا القانون بردة فعل غاضبة وقاسية، وصلت إلى حد تهديد الكثير من النخب اليهودية الأميركية بالتخلي عن دعم إسرائيل والتوقف عن إبداء الحرص على مصالحها. و"يرى الكثير من قادة اليهود الأميركيين أن سن قانون التهود في إسرائيل يمثل طعنة في ظهرهم، وهم الذين يلعبون دورا مركزيا في تأمين مصالح إسرائيل الإستراتيجية". وقد أثار هذا القانون ردة الفعل الغاضبة هذه لأنه منح مؤسسة الحاخامية الكبرى، وهي المؤسسة الدينية الرسمية في إسرائيل، الحق الحصري في تحديد الشروط الواجب استيفاؤها في الشخص الذي يرغب في التحول إلى اليهودية.

وتعود حساسية النخب اليهودية الأميركية لهذا التطور إلى أن الحاخامية الكبرى تقع تحت تأثير المرجعيات الدينية اليهودية المتزمتة المعروفة ب"الحريدية" التي تتبنى الاجتهادات الفقهية الأكثر تطرفا في تحديد "من هو اليهودي"، بالإضافة إلى توسعها في فرض القيود على الراغبين في التحول إلى اليهودية. علاوة على ذلك فإنه بالنسبة للمرجعيات الدينية الحريدية لا يمكن الاعتراف بيهودية أي شخص تحول إلى اليهودية عن طريق حاخامات إصلاحيين أو محافظين، مع العلم بأن الإصلاحيين والمحافظين يشكلون الأغلبية الساحقة من يهود الولايات المتحدة الأميركية وكندا، وبالتالي فإن الحاخامية الكبرى في إسرائيل تخرج عمليا يهود الولايات المتحدة عن دائرة اليهودية. وفي الوقت الذي تعتبر فيه المرجعيات الدينية الحريدية أن اليهودي هو الذي ولد لأم يهودية، فإن نتائج آخر دراسة أجريت في الولايات المتحدة تبين أن 50% من اليهود الأميركيين يتزوجون زواجا مختلطا، وهو ما يجعل هؤلاء خارج إطار اليهودية في نظر المرجعيات الحريدية.

وما يثير سخط هؤلاء القادة أن سن القانون جاء فقط من أجل ضمان استرضاء الأحزاب الحريدية المشاركة في الائتلاف الحاكم في تل أبيب، وهي الأحزاب التي لا يخدم أنصارها في الجيش وتميل إلى الانعزال عن المجتمع الإسرائيلي.

إن كل ما تقدم إنما يدل على التخبط الكبير، على صعيدي الفكر والسياسة، في مجال تحديد صيغة توافقية للعلاقات المتبادلة بين الكيان الغاصب بحكوماته وتقلباته الجيوسياسية المختلفة وبين الجاليات اليهودية في العالم التي تشهد على مدى سنوات عديدة تطورات اجيال لناحية الانتماء لليهودية من الأساس ولناحية تبني كل ما يصدر عن الكيان من مخططات إجرامية بحق الشعب الفلسطيني خاصة والشعوب العربية عامة.